مجلة عصور الجديدة- مجلة محكمة صنف ج- المجلد 10 العدد 1- مارس 1441هـ/2020
ISSN: 2170- 1636---EISSN 2600- 6324

ركب الحج الجزائري من خلال رحلتي الحسين الورثيلاني وعبد الرحمن المجاجي

The rode Algerian pilgrimage through the journey of Al-Hussein Al-Warthilani and Abdul Rahman Al-Majaji

اسم ولقب المؤلّف المرسل الأول: بكري حمزة- BEKRI Hamza صص296- 310
الدرجة ومؤسسة الانتماء: طالب دكتوراه تاريخ حديث ومعاصر- جامعة وهران1 أحمد بن بلة.
العنوان الإلكتروني: hbekri76@gmail.com
اسم ولقب المؤلّف المرسل الثاني: دادة محمد- DADA Mohamed
الدرجة ومؤسسة الانتماء: أستاذ في التاريخ الحديث والمعاصر- جامعة وهران1 أحمد بن بلة.
العنوان الإلكتروني: dadamohamed31@yahoo.fr

تاريخ الاستقبال: 2019/11/11 تاريخ المراجعة: 2020/01/20 تاريخ الموافقة: 2020/02/16

ملخص: إن فريضة الحج من الأمور التي حرص الجزائريون على أدائها، فهي غاية كل مسلم شوقاً لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم والأماكن المقدسة، وقد ارتبط الجزائريون بتلك الشعيرة، وحرصوا على تلبية الدعوة مواجهين في ذلك مخاطر السفر وطول الطريق وتقلبات الأحوال ومفارقة الأهل والأوطان.

وكانت تتم عملية لم شمل الحجاج الجزائريين ورواحلهم ضمن قافلة كبيرة منظمة تُعرف بركب الحج الذي يقوم بتنظيمه وتسييره أمير الركب مادياً وبشرياً.

ويُعدُ ركب الحج الجزائري مظهراً مهماً من المظاهر الحضارية التي عكست طبيعة العلاقة، ومدى قوة الترابط التي كانت قائمة بين السلطة العثمانية والمجتمع الجزائري من جهة، وبين القبائل من مختلف المناطق الداخلية في تضامنها ووحدتها معنوياً ومادياً من جهة أخرى، كما أنه يعبّر عن مدى التواصل الحضاري بين الجزائر وكل الأقطار الواقعة في طريق الحج.

أما على مستوى المناطق المجاورة للجزائر، فبالرغم من بعد المسافة والتقسيم الجغرافي، فضلاً عن المخاطر والمصاعب؛ إلا أن الركب استطاع- بفضل تنظيماته

PDF Creator Trial

وسيره الحسن كمؤسسة قائمة بذاتها- أن يوحد المجتمعات من حيث الأهداف، والتمثيل الجيد لمناطقهم من خلال التواصل فيما بينهم طيلة سير الركب في كل مراحله ذهاباً وإياباً، وفي كل محطة من المحطات إلى غاية البقاع المقدسة، فأثّر وتأثّر طيلة الرحلة، وبخاصة في المجالين الاجتماعي والثقافي، وهذا ما سنتطرق إليه من خلال نموذجين للرحلة الحجازية، وهما رحلتي الورثيلاني والمجاجي موضوع البحث.

الكلمات المفتاحية : الحج؛ ركب الحج الجزائري؛ الترابط الداخلي؛ التواصل الحضاري؛ المناطق المجاورة؛ التنظيم؛ المحطات؛ المجالين الاجتماعي والثقافي؛ رحلة الورثيلاني؛ رحلة المجاجي.

ABSTRACT: *The pilgrimage (Hadj) is one of the things that Algerians are eager to accomplish, because it is the goal of any Muslim wishing to visit the tomb of the Messenger, may God bless him and grant him peace and holy places.*

The reunification process of Algerian pilgrims and their journeys took place within the framework of a large organized convoy known as a pilgrimage organized and organized by the prince of the carpet, whether material or human.

The Algerian pilgrimage is an important aspect of civilization, which reflects the nature of the relationship and the strength of the ties which existed between the Ottoman authority and Algerian society on the one hand, and between the tribes of the different interior regions in their solidarity and their moral and financial unity on the other hand, because it reflects the extent of civilized communication between Algeria and all the countries located on the pilgrimage route.

As for the level of neighboring regions to Algeria, despite the distance and geographical distribution, in addition to the risks and difficulties, the knee has succeeded - thanks to its organizations and its proper functioning as an autonomous institution - in uniting societies in terms of objectives and good representation of their regions through communication between them throughout the ride in each Its stages come and go, and in each of the stations to the destination of Saint lands (Arabia Saudia), it has affected and affected throughout the trip, especially in the social and cultural fields, and this is what we will approach through two models of the pilgrimage trip, which are the Al-Rethilani and Al-Majaji trips which are discussed.

Keywords: pilgrimage; rode Algerian pilgrimage; interconnectedness; cultural communication; adjacent areas; organization; stations; social and cultural spheres; journey of Al-Warthilani; journey of Al-Majaji.

PDF Creator Trial

1.مقدمة: اهتم المجتمع الجزائري بأداء فريضة الحج، التي تبقى دائماً هدفاً سامياً في الحياة الدينية لكل فرد مسلم، لذا كان العمل على تحقيقه متواصل على مدار السنة، بدءً بعمليات التنظيم على مستوى الأشخاص والوسائل من خلال الركب الذي يمثل مؤسسة يشرف على تسييرها أمير الركب، الذي بدوره يقسم مهام مختلفة على آخرين حسب كل مرحلة من أجل السير الحسن للسفر ذهاباً وإياباً.

وبالإضافة إلى الدافع الأول للسفر المتمثل في أداء فريضة الحج، فقد لعب الركب أدواراً هامة في عملية التضامن والتواصل في شتى المجالات.

وما سجله الرحالة في طريقهم من وصف دقيق للمظاهر العامة، هو بمثابة مصدر من المصادر الأساسية في التاريخ وفي تخصصات أخرى للجزائر ولبلدان ومناطق أخرى.

ومن خلال هذه الورقة البحثية ارتأينا العمل على تسليط الضوء على مثل هذه النصوص التي تمثل جزءً أساسياً من ذاكرة الجزائر خلال الفترة الحديثة، فتطرقنا إلى نموذجين من الرحلات لتلك الفترة، الأولى "رحلة الورثيلاني" لصاحبها الرحالة الحسين الورثيلاني أين اكتفينا بمرحلة الذهاب كونها غنية بالوصف المتعلق بتنظيم ركب الحج وجاءت نثرية، وأما الثانية فهي "رحلة المجاجي" للرحالة عبد الرحمن المجاجي، تطرقنا من خلالها لمرحلة العودة وهي شعرية.

ولمعرفة الأوضاع العامة التي أحاطت بركب الحج الجزائري من خلال الرحلتين، طرحنا الاشكالية الرئيسة التالية، وأخرى فرعية: كيف كانت ظروف ومميزات سير ركب الحج الجزائري ذهاباً وإياباً خلال العهد العثماني؟ وفيما تمثلت مختلف أدواره وأهميته؟ وما مظاهر ذلك؟

وللإجابة على تلك الأسئلة والبحث عن حقيقة تطور رحلة الركب تاريخياً خاصة في تلك الفترة، اتبعنا في بحثنا هذا المنهج التاريخي السردي والوصفي، بالإضافة إلى التحليل.

PDF Creator Trial

2. تعريف الركب: الرَكْبُ: من ركب، جمع أركب وركوب، وهي الجماعة من الناس بعدد عشرة فما فوقهم يسيرون بإمرة أحدهم[1]، والركب: القوم الركبان، وكذلك الأركوب[2].

ويعني أيضاً: ركبان الإبل، اسم جمع، وهم العشرة فصاعداً، وقد يكون للخيل، جمع أركب وركوب، والأركوب بالضم أكثر من الركب[3]، كما يدل على الراكبين، العشرة فما فوق، جمع أركب وركوب[4].

وقد شُبّه الركب بالمدينة المتنقلة أو القافلة التي يُشرف عليها ويسيرها أحدهم المسمى بأمير الركب، ويساعده في تلك المهمة كلٌ من الإمام والقاضي[5].

وعلى العموم فمصطلح "الركب" يعني القافلة الجامعةُ، السائرة لأداء غرضٍ معيّن. ومَسير قافلة الحجّاج أو الحجيج، القاصدين بلادَ الحرمين الشريفين: مكة والمدينة من أجل أداء وإتمام مناسك الحج.

وهناك من يرى بأن الرّكب يحمل كذلك معنى الموكب المتكون من مجموعةِ قوافل الحجّ المنطلقةِ من وطنٍ أو إقليم معيَّن[6].

3 .مفهوم الرحلة والرحلة الحجازية:

1.3 الرحلة: هي انتقال شخص أو جماعة أو قبيلة أو أمة من مكان إلى آخر لمقاصد وغايات مختلفة وأسباب متعددة، وهي مخالطة الناس والأقوام، أين تبرز قيمتها كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية، ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين خلال فترة زمنية محددة[7].

وجاءت أيضاً بمعنى السير والانتقال والوجهة التي ينتقل إليها، كما تُطلق على مَن انتقل من مكان لآخر، ومنه نجد لفظ رحال أي المتنقل من مكان لآخر[8].

2.3 الرحلة الحجازية: إن الحج كان ولا يزال الرحلة التي يتشوق إلى أدائها الناس عامة والعلماء والفقهاء خاصة، فالدافع لتلك الرحلة ديني، ويعتبر من أقوى دوافع الرحلات المغاربية إلى المشرق العربي[9].

أهم الرحلات الرحلة الحجازية تلك التي يراد من خلالها أداء فريضة الحج، وتعتبر تلك الشعيرة من أهم البواعث للرحلة بسبب تمسك المسلمين بالقيم الروحية،

PDF Creator Trial

فهي تمثل غاية كل مسلم بأن يقوم بزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي يحقق أمنيته[10]، وعملاً بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إلاَ إلى ثَلاَثَة مَسَاجد: المَسْجد الحَرَام، وَمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى[11].

وبما أن الحج فريضة على كل مسلم؛ فقد أقدم عليها المسلمون بكل حماس، إذ يباشرون في أخذهم الدروب الطويلة في اتجاه مكة المكرمة والمدينة المنورة تلبية لدعوة الحق، وبعد أدائه للفرض يوضح الحاج ويشرح لمن يأتي بعده اتخاذ أحسن الطرق من أجل الوصول إلى الأماكن المقدسة في أمان، مبيناً له نقاط المخاطر لكي يتجنبها، ويذكر له المصاعب للتغلب عليها[12].

قام الأدباء والعلماء الأندلسيون والمغاربة بشد الرحال نحو البقاع المقدسة[13]، فوصفوا رحلتهم وإقامتهم وطرق سيرهم، وطريقة أدائهم للفرائض، وسجلوا كل ذلك في تقاييد جمعوها في كتاب أسموه "الرحلة الحجازية"، وبالتالي أصبحت كتب رحلاتهم دليلاً لمن ينوي السفر إلى الأماكن المقدسة[14]، وعند مرورهم بالمغرب الأوسط ترجموا لرجالها، ووقفوا على معالمها، وزاروا معظم مدنها[15].

ومن بين الذين برزوا في هذا الصنف- أي الرحلات-في الفترة العثمانية- نجد كلٌ من الحسين الورثيلاني وعبد الرحمن المجاجي اللذين نقلا ظروف ووقائع مهمة تعلقت بركب الحج الجزائري، وقبل التطرق إلى مجريات سير رحلتهما لا بد من التعريف بتلك الشخصيتين التاريخيتين.

4- ترجمة الرحالتين:

4. 1- الحسين الورثيلاني: هو الولي الصالح والعالم الرباني سيدي الحسين بن محمد السعيد الشريف الورثيلاني[16]، نسبة إلى بني ورثيلان قبيلة بالمغرب الأوسط[17] قرب بجاية بالجزائر[18]، التي وُلد بها عام 1125هـ/1713م، وتوفي حسب ما ذكره بعض تلاميذه في شهر رمضان عام 1193هـ، وبعضهم قال عام 1194هـ[19]، ونشأ بها وتلقّى مبادئ الفقه واللغة على يد أبيه وأشياخ موطنه، ثمّ ذهب إلى بعض الزوايا ومعاهد

PDF Creator Trial

العلم بناحية القرقور وجهات جرجرة ودلس والجزائر، وارتبط بالطريقة الشاذلية، والتزم بالزهد والتقشف[20].

نشأ فقيراً، حفظ القرآن الكريم مبكراً، وفي مرحلة الشباب بدأ يتلقى العلوم حيث تعلم التصوف والتوحيد والتاريخ، فأصبح بفضل ذلك عالما بارزا في المنطقة[21]، إماماً ومحققاً بارعاً في العلوم، وتفقه حتى وصل الغاية في مذهب المالكية[22]؛ فدرّس في بجاية وغيرها، بحيث تخرّج على يديه عدد كبير من التلاميذ، وكان لا يحب أهل الحضر والحكام العثمانيين[23].

وبذلك يُعتبر الحسين الورثيلاني رحالة ومؤرخاً وفقيهاً ومتصوفاً، رحل إلى المشرق فحجّ[24]، وأخذ عن علماء مصر والحجاز كالشيخ محمد بن محمد التونسي الشهير بالبليدي، وأحمد بن الحسن الخالدي الجوهري والصعيدي والحفناوي والعفيفي وغيرهم[25].

أهمَ مؤلفاته: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، ويعرف بالرحلة الورثيلانية، وهو عبارة عن وصف لرحلته للديار المقدسة سنة 1179هـ، وما شاهده من الأمكنة والآثار، ومن لقيه من العلماء والأعيان وغيره، وشرح القدسية للأخضري في التصوف، وقصيدة ميمية في نحو 500 بيت في مدح النبي صلى الله عليه وسلم[26]، وشرحه على وسطى الامام السنوسي، وعلى محصل المقاصد للإمام أبي العباس أحمد بن زكريا التلمساني غير أنه مات فيه قبل إتمامه[27]، وقد شطر البردة- قصيدة للبوصيري- تشطيراً عجيباً، وغير ذلك من القصائد والتآليف والتقارير[28].

حجّ ثلاث مرّات: الأولى مع أبيه سنة 1153هـ/1740م، والثانية سنة 1166هـ/1752م، والثالثة استغرقت ثلاث سنوات من 1179 إلى 1181هـ/1765-1767م[29].

2.4- عبد الرحمن المجاجي: هو عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، لم يُعثر على ترجمته ما عدا أصله ومنشؤه: بلدة مجاجة بالقرب من مدينة شلف بالجزائر على بعد 10 كلم.

PDF Creator Trial

تعرف رحلته برحلة المجاجي (1063هـ/1652م)، رصيده العلمي: علم التصوف والتاريخ والفلك والأدب والشعر[30]، وقد تتلمذ على يد محمد بن علي أبهلول وأبي علي، ثم سافر الى تلمسان ودرس بها، ثم انتقل إلى فاس، ولا يعلم أعاد منها أم توفي بها[31]، كما كان مهتما بنسخ العديد من القصائد والمؤلفات كدلائل الخيرات لعبد الله الجزولي، وقصيدة الكواكب الدرية في مدح خير البرية المعروفة بالبردة للبوصيري إلى جانب مؤلفات في السيرة كالشمائل المحمدية للترمذي، وشفاء السقام في زيارة خير الأنام لتقي الدين السبكي، وقد قال في المؤلفات التي نسخها:

وحبست مجموعا عظيما بخطنـا تواليفه تـرى على العـدّ كثرة[32]

5- مسار الرحلتين: كان الجزائريون يتجهون نحو الأماكن المقدسة من أجل تأدية فريضة الحج والزيارات، فتجاوز اشتياقهم- لتلك الأماكن- الشعور بالآلام وتخطى العوائق، وسجل الرحالة ما شاهدوه وسمعوه، وما حدث للركب طيلة الرحلة ذهابا وإيابا في كتابات عديدة، منها ما هو باق إلى الآن ومنها ما فُقد، وجاءت تلك الرحلات إمَا نثرية أو على شكل أشعار[33]، فرحلة الحسين الورثيلاني جاءت نثرية، وأما رحلة المجاجي فهي شعرية.

1.5- رحلة الحسين الورثيلاني:غادر الركب موطن الحسين الورثيلاني بني ورثيلان يوم الخميس بعدما قام بتوديع الأهالي متجهين نحو زمورة أين باتوا ثلاثة ليال، فلحق بهم الناس هناك، ثم خرجوا يوم الأحد، وكان في كل يوم يلتحق بهم الحجيج من كل منطقة فيجتمعون ليبيعوا ويشتروا، وكان اهتمامهم مركَز على الرحيل من قصر الطير، فاتجهوا بعدها نحو بريكة ثم الزاب أين وضع الركب أثقاله، وبدؤوا يشترون من هناك الرواحل، ثم توجهوا نحو بسكرة التي يذكر محاسنها وطبيعتها، ثم دخل الركب طولقة التي وصفها ببلد الجود.

وبعد قضاء الحاجيات من شراء وبيع غادر الحجيج بسكرة باتجاه سيدي عقبة[34] ثم زريبة الوادي وزريبة حامد[35]، وبعدما حلّ الركب بتوزر ونفطة قام بزيارة الولي الصالح سيدي عبد الحق[36]، وبعدها واصل السير نحو قرية عرام فقام بزيارة قبور صُلَاحها.

PDF Creator Trial

أشار الورثيلاني إلى أن هناك قلة في الماء مما أدى إلى عطش الركب تلك الليلة، حتى أصبح في منطقة زوارة إذ يقول: "سقينا هنا الماء، وأوردنا الخيل والبغال والإبل، فالماء هناك عذب وحلو، وذهبنا بعد ذلك إلى مدينة زواغة، ثم طرابلس أين رحب بنا أهلها"[37]، ثم واصلنا سيرنا نحو مصر التي وصف الورثيلاني علماءها وأهلها وعاداتهم.

ثم اتجه الركب نحو الحجاز، وتحدث الرحالة عن ساحل البحر الأحمر والمدن وعن الآبار والعيون والحالة السياسية والزراعة وعن موسم الحج في مكة المكرمة والمدينة المنورة وعن العلماء، كما أشار أيضاً إلى قلة الأمن في الطريق[38].

من خلال رحلة ركب الحج الذي رافقه الرحالة الحسين الورثيلاني تعرفنا على الأوضاع العامة للجزائر العثمانية وتونس وطرابلس ومصر والحجاز خلال القرن 12هـ/18م، حيث وصف الحالة الاجتماعية والاقتصادية والعمران ومحطات القوافل ونقاط الماء والطرق فضلاً عن الجانب الثقافي والترجمة للعديد من العلماء[39].

2.5- رحلة عبد الرحمن المجاجي: اقتصر المجاجي على ذكر طريق عودته من البقاع المقدسة نحو بلدة مجاجة بالجزائر، حيث بدأت رحلة الركب الجزائري من الحجاز بين مكة المكرمة والمدينة المنورة؛ فقام بوصف ما مرَ به في طريقه بقوله:

"نشقُ الفيافي فدفداً بعد فدفد جبالاً وأوعاراً وأرضاً وطية"

ذكر المحطات والآبار والقرى التي مرَ بها الركب، فعندما مرَوا ببئر علي كرم الله وجهه دخلوا المدينة المنورة، وزاروا المسجد النبوي الشريف وصلُوا به، وحبّس فيه المجاجي عدداً من الكتب، وقبل مغادرتهم المدينة المنورة بسبب الضغط الذي مارسه ركب الحج المصري عليهم، قاموا بزيارة البقيع وشهداء أحد، ثم توجهوا نحو مصر، فكانت بندر الينبع محطتهم الأولى أين احتفلوا هناك بيوم عاشوراء أول محرم سنة 1064هـ/1653م.

ركز الركب أثناء التنقلات على نقاط تواجد المياه الصالحة للشرب التي كانت توجد إلا بحورة والسبط وعنتر، أما البقية من البنادر فمياهها مالحة حسب وصف المجاجي، كما يذكر بشكل وجيز مواقع تواجد المياه والمؤونة والمزارات، بالرغم من أن مرحلة تواجد الركب بالحجاز كانت قصيرة.

PDF Creator Trial

وبسبب المكانة والأهمية التي تكتسيها مصر لدى المغاربة، سارع المجاجي ومرافقيه في الرحيل نحوها، وكانت قرية البركة المباركة المحطة التي نزل بها ركب الحج[40]، وكانت الطريق بين مصر والبركة عبارة عن سوق من كثرة الناس والباعة المتواجدة هناك، و أثناء مغادرة الأركاب لتلك المنطقة، أمَنت مجموعات من العساكر جانب الطريق بين مصر والبركة من أجل منع النهب والإغارة، فلا تعود العساكر حتى ترحل الأركاب كلها[41]، ومن ثم ينزلون بمدينة بولاق، ويقيمون بها مدة 36 يوماً بسبب انشغال أمير الركب بشراء بعض الحاجيات- كما ذكر المجاجي- مثل شراء نوع من أنواع الجمال، وبعد ذلك مكثوا خمسة أيام بباب درب الحجاز.

قام المجاجي أيضاً بذكر المعالم التي زارها الركب؛ ومنها العلمية كالجوامع مثل الأزهر، وكذا حضور مجالس بعض علمائها مثل الشيخ علي الأجهوري، ثم وصف الأسواق والأهرام والعمارة المصرية[42]، وزار مع الركب مدينة الاسكندرية واصفاً آثارها ومزاراتها وعمارتها وأبوابها والصُلاح من رجالها، بالإضافة إلى زيارة مسجد عمرو بن العاص[43]، ثم غادر الركب تراب مصر في اتجاه بلاد المغرب ماراً بصحراء برقة الوعرة المسالك أين تذمر المجاجي من بعض أهاليها.

وعند وصولهم مدينة قفصة بتونس قام بزيارة الأئمة، ووصف الطابع الاقتصادي الذي يميزها مثل الزراعة والأشجار والفواكه والمناظر الطبيعية والعيون والآبار، ثم ذكر مدناً عديدة وما يميزها من كثرة المياه والمزارع والعمران، ووصف المجتمع والجغرافية، كما تحدث كذلك عن الطابع المعماري الذي اختصت به منطقة سيدي عقبة بالجزائر، فذكر منارة مسجدها، والجانب المعماري لمدينة بسكرة وخصائصها الزراعية، ومن ثم تطرق إلى ذكر أسماء المدن التي مر بها الركب، فيقول عن مدينة الجزائر: "أتينا بلاد الخير والعلم والتَقى"، ووصف حفاوة الاستقبال والحفل الذي خصَّه أهل ركب الحج بالإضافة إلى مراسيم تجديد عهدة مهام أمير الركب، وزيارة الصالحين الأحياء والأموات لاعتقادهم في التبرك بهم، كما تحدث عن العلماء والفضلاء الذين رافقهم في ركب الحج[44].

PDF Creator Trial

6- مراحل سير الركب: كانت مدينة بسكرة المحطة الأولى في الجزائر التي تلتقي فيها القوافل المغربية والجزائرية لتتوجه فيما بعد نحو المشرق بعد مرور الركب بسيدي عقبة والزرائب (زريبة الوادي وزريبة حامد) بالجزائر، وتوزر ثم قابس وعرام بتونس، ثم ساحل طرابلس، ويواصل الركب السير حتى يصل صحاري برقة بليبيا، ثم ينزل بمصر؛ وهذه الطريق هي الرئيسة التي كان يسلكها الحجيج المغاربة، وهناك طرق أخرى ثانوية تلتقي بهذه الطريق كالتي توجد شمال الجزائر وتونس ومصر، كان طريق الذهاب هو نفسه طريق العودة بالنسبة للطريق الرئيس، أما المسالك الثانوية فتستعمل حسب منطقة كل حاج؛ فبخصوص ركب المجاجي كان سير الركب فيه أرض تونس ثم مدينة بسكرة ومقرة والمسيلة ومدينة حمزة، ثم مدينة الجزائر، وبعدها متيجة وملیانة وشلف وصولاً في الأخير بلدة مجاجة، أما الرحلة عن طريق البحر فكانت أكثر خطورة بسبب عمليات القرصنة[45].

لم يذكر المجاجي في رحلته اسم أمير الركب، لكن أغلب الاحتمالات تشير إلى أن عبد الكريم الفكون[46] هو من كان آنذاك قائداً لركب الحج، وكانت أسرته قد توارثت الإمارة، وقد نظم أثناء زيارته للحجاز- وهو أمير لركب الحج الجزائري- ديواناً في المديح النبوي الشريف سنة 1031هـ/1621م[47]، أما الاحتمال الآخر بالنسبة للشخص الذي تولى إمارة ركب الحج الجزائري، فقد يكون سيدي محمد ابن الولي الصالح سيدي محمد بن المسعود[48].

7- مهام أمير الركب: يتولى أمير الركب شؤون الحجيج، ويتم تعيينه من طرف السلطة الحاكمة، فيتصرف بكل حرية، ويستعين في تسييره لمختلف الأمور كعملية النقل ودفع أجور مساعديه وغيرها بما يجمعه من الحجيج أو من آخرين، حيث تدفع الأجرة للدليل أو مرشد الطريق ونقاط تواجد المياه، ويُستخدمون لمرحلة معينة، ثم يتم تغييرهم حسب الحاجة.

كما نجد ضمن الركب ما يطلق عليه اسم المنادي أو البراح الذي يعمل على إسماع الناس بما أمر به أمير الركب، وهناك حاملي الرايات أو العلامين الذين يقومون بالإعلان عن المبيت أو الرحيل[49]، وهناك مهام أخرى لأمير الركب مثل تولية مسؤولية

PDF Creator Trial

كراء الدور للمبيت في بعض المدن الكبيرة كما حدث في مدينة بولاق بمصر، وتأمين كل ما يخص الحجاج من مؤن.

وفيما يتعلق بالوسائل التي استعان بها الركب فقد أُستعملت الإبل والخيل كوسائل للنقل، مثل الإبل التي يشترونها من بولاق بمصر أو عن طريق الكراء كجمال طرابلس، بالإضافة إلى البغال والحمير، وكان الرعاة يرافقون الركب طيلة الرحلة بقطعانهم من أجل تزويد الحجيج باللحم الطري، فيغتنموا بذلك الفرصة لبيع مواشيهم.

كما كان الركب يؤمّن الطريق بحيث يجتنبون المناطق الخطيرة؛ فيحتاطون من كل اعتداء، مثل الذي وقع للركب في بعض المواطن بصحراء برقة بليبيا، وقلة في الأمن بين مدينتي مليانة وشلف بالجزائر، ولتجنب المخاطر كانت عملية التنقل تتم بالنهار[50].

8- الصعوبات التي واجهت ركب الحج: من المصاعب والمتاعب التي واجهها الركب وأقلقته أثناء الرحلة ندرة الماء، وحين يجدون الماء يتوقف الحجيج ليتزودوا به ويسقوا الحيوانات، وكانت أصعب المناطق من حيث ندرة المياه تلك التي تقع بصحراء برقة بليبيا، ودرب الحجاز الذي يحتوي على مياه مالحة.

كما عانى الركب من شدة الحرارة، وأحياناً أخرى يعاني من الأمطار الغزيرة التي تؤدي إلى خطورة اجتياز الأودية، مثلما حدث للركب الذي اجتاز بأرجل حافية المناطق التي تقع ما بين بسكرة ومقرة، كما واجه صعوبات في طبيعة الأرض التي يسيرون عليها فهي صخرية أو ضيقة المسالك كونها جبلية.

كان ركب الحج يصل بعض المنازل من أجل الاستراحة والتزود بالماء والمؤونة أو لشراء سروج للخيل والعلف للدواب، ويرعون إبلهم إن كانت الأرض خصبة، أما بالمدن الكبيرة فيبيعون ويبتاعون ويزورون الصُلَاح والمزارات[51].

وعندما وصل الركب مدينة بسكرة استقبل من طرف قائد جيش المدينة في جو كله بهجة وسرور وسط المدينة في حفل خاص، ونفس الحفاوة لقيها الركب فور وصوله مدينة الجزائر، بحيث استقبلهم خطيب المدينة ومجموعة من العلماء حتى

PDF Creator Trial

وصلوا دار السلطان، واستقبلوا كذلك من طرف أهاليهم وأقاربهم وأحبابهم الذين أتوا من الأماكن القريبة من مدينة الجزائر.

9- أدوار الركب أثناء الرحلة: بالإضافة إلى أداء فريضة الحج، قام الركب بأدوار عديدة في شتى المجالات طيلة الرحلة ذهاباً وإياباً، وتمثلت فيما يلي:

1.9- الجانب السياسي: من مظاهره استقبال ركب الحج عند وصوله مدينة الجزائر من طرف الباشا العثماني، كما حدث أيضاً مع أمير مدينة بسكرة، وكان الهدف من وراء ذلك الاستقبال سياسة السلطة العثمانية التي ترمي إلى كسب ولاء الرعية، وبخاصة العلماء والمثقفين منهم من أجل كسب تأييدهم في الأوقات العصيبة، وقد استغل هذا الوضع بعض من كان ضمن الركب عن طريق إقامة العلاقة مع الحكام بغية قضاء حاجته كما حدث للمجاجي نفسه وشيخ من بني جلاب طالباً المساعدة من السلطة العثمانية.

2.9- الجانب الاجتماعي والاقتصادي: يتمثل خاصة في كرم الضيافة من طرف أهالي المناطق التي مرَ بها الركب، مثل ما تميَز به صاحب الزاوية الشيخ عبد الحفيظ بطرابلس أين كان يستقبل مريديه والأتباع والضيوف، فيكرمهم أهل المدينة كذلك، حيث وصفهم العديد من الرحالة بالمروءة وحسن العشرة والمعاملة ومحبتهم للغريب وغيرها من الأوصاف الطيبة.

لتلك الأسباب كان ركب الحج يقيم بها نحو تسعة أيام، يزيدهم خلالها الشيخ عبد الحفيظ من الفضائل ويؤمَن لهم المؤن من طعام وتمر وسمن وغيرها، ثم يرافقهم مسيرة شهر، ويساعده في تلك المهام أهل تلك المناطق بحيث يتسارعون لإكرام الشيخ وإكرام كل أفراد الركب، ويرافقهم مع تأمين الطريق من طرابلس حتى قرية بوذرف.

ونفس الكرم لقيه الركب عند وصوله بسكرة ومدينة حمزة لدى قبيلة بني موسى الساكنة بالقرب من مدينة الجزائر، حيث مدحهم المجاجي على ذلك، وأثنى عليهم، ودعا لهم بالخير[52].

PDF Creator Trial

وأما الورثيلاني فقد تطرق في رحلته إلى الكثير من الخصال التي تميز بها المجتمع آنذاك مثل العمل على إصلاح ذات البين والكرم والجود والتآزر، وانتشرت تلك الفضائل في كلَ منطقة زارها ومرَ بها الرحالة[53]، وكان يلقى ذلك منذ بداية رحلته، وإلى غاية عودته إلى دياره، فعندما وصل مع مرافقيه إلى بني عباس وباتوا هناك استقبلهم أهلها بحفاوة، وفرحوا بهم كثيراً[54]، ولقوا نفس الضيافة عندما زاروا سيدي أحمد بن عمر بتدلس[55].

وبعد أن قام بتوديع أهل بجاية، رجع مع أصحابه إلى داره، وبدأ بالتهيئ للسفر؛ فجاءهم الركب من جبل زواوة في حوالي 300 رجل من الأكابر والأفاضل ومن كل بلد (حمزة ووانوغة ووادي بجاية وغيرها)[56]، ويضيف الرحالة بأن ببني يعلى وبني ورثيلان اجتمع الناس بكثرة، وفرحوا بقدوم الركب؛ فذبحوا ذبائح كثيرة، وأخرجوا الطعام، وبعدما التقى بأهل إيلماين بالوادي فرحوا وسرَوا بمجيئهم، وعبَّروا عن ذلك بضرب البارود، وبعد المغادرة جاءت الوفود من كل منطقة بأعداد فاقت المائة فرد[57]، ولقي نفس الكرم والجود عند أولاد بوزيان بطولقة[58] ولدى أهالي زمورة[59].

أما في الجانب الاقتصادي فقد اقتصر على شراء أمير الركب لنوع من الإبل بمدينة "العلجة" بولاق بمصر، وقام بوصف أسواق مصر في كثرتها وسحرها مثل سوق الرميلة.

3.9- الجانب الثقافي: كان الركب يمثل وسيلة لطالبي العلم، فمن خلاله يتعرفون على العلماء، ويستفيدون منهم، ويشترون الكتب كما يقومون بنسخها أو استعارتها، بالإضافة إلى اتصالهم بالمراكز العلمية المختلفة، والتعرف على الفقهاء والعلماء، والسعي للحصول على الإجازة منهم، وكان اهتمام المجاجي ومرافقيه بذلك كبيراً، حيث كانوا يتسارعون نحو مجالس العلم بمصر والنزول بمساجدها، والالتحاق بحلقات الدروس فيها، وبدور العلماء من أجل الاستفادة أكثر من العلم والتعمق في البحث.

يعتبر الركب وسيلة لنشر العلوم والتواصل الثقافي بين المناطق العربية، بالإضافة إلى كونه فرصة للإطلاع على القضايا والآراء والمؤلفات الحديثة[60]، وقد رافق الركب مجموعة من العلماء أغلبهم متصوفة مثل أبي الحسن علي (أبو حسون)

PDF Creator Trial

وشقيقه عبد القادر الجيلالي، وعمهما أبو علي وعمتهما السيدة عودة ووالدهما محمد بن علي أبهلول وعبد الكريم الفكون أمير الركب الذي مدحه المجاجي بحسن تنظيمه للركب، وذكر شخصيات أخرى مثل الشيخ عبد الحفيظ صاحب زاوية بطرابلس وغيره، وحسب رأيه أن تلك الشخصيات كان لها دوراً هاماً في التخفيف عن الركب من حيث الصعوبات التي لقيها في الطريق طيلة السفر حفظاً من الله لهؤلاء العلماء[61].

الخاتمة: شهدت الجزائر في الفترة الحديثة مظاهر عديدة تمثلت في التكافل الاجتماعي والتواصل الثقافي، وذلك بالرغم من المصاعب والأوضاع السياسية التي عاشتها آنذاك.

ومن خلال ركب الحج الجزائري الذي كان يُنظَم في كل سنة بهدف أداء فريضة الحج، استطاع ذلك الركب عبر مختلف شرائح المجتمع التي كان يضمها أن يعكس الوجه الحقيقي للمجتمع، وأن يترك آثاراً إيجابية في كل مرحلة ومحطة يمر أو يقيم بها الركب.

وتنوعت آنذاك أدوار الركب، فبالإضافة إلى الهدف الأسمى المتمثل في الحج، اهتم بعدة جوانب منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، وأعطى وجهاً حضارياً من حيث التنظيم منذ الانطلاقة وإلى غاية العودة جالباً معه الكثير من المنافع المعنوية والمادية، فأثر وتأثر، وترك لنا تراثاً لا يمكن الاستغناء عنه من حيث دراسته، والبحث فيه أكاديمياً، والمتمثل في كتابات الرحالة التي تعد مصدراً مهماً ومادة خصبة.

الهوامش:

1- محمد قلعجي: معجم لغة الفقهاء، دار النفائس، بيروت، ط2، 1988، ص226. ----2-أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج 2، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، مصر، 1979، ص432.----3-مجد الدين محمد بن يعقوب، الفيروز آبادي، القاموس المحيط والحديث، القاهرة، مصر، 2008، ص 665.----4-شوقي ضيف، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط 4، القاهرة، مصر، 2004، ص368.----5-مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص25.----6-أحمد بوسعيد، ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني (1518-1830م) دراسة تاريخية واجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية، جامعة أحمد دراية، آدرار، 2017-2018، ص23-24.

7-أماني بنت سعيد الحربي، مصر من خلال كتابات الرحالة المغاربة في القرنين السابع والثامن الهجريين-13-14 م، رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2015، ص 23.

PDF Creator Trial

8-عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع و الثامن الهجريين، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 1996، ص40.----9-جميلة روباش، الرحلة المغربية، التعريف والتأسيس والأنواع، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى، ط 1، الجزائر ، 2017 ، ص 46.

10-علي، ابراهيم الكردي، أدب الرحل في المغرب والأندلس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2013، ص12.

11-حديث شريف، صحيح البخاري، ص1189.----12-فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002، ص31.----13-مولاي، بالحميسي، المرجع السابق، ص12.----14-لخضر حشلافي، الرحلة المغربية وأهم أعلامها، الرحلة المغربية قضايا وظواهر، دار الضحى، الجزائر، ط1، 2017، ص11.----15- مولاي بالحميسي، المرجع السابق، ص12.----16-سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008، م1 ص5.---- 17-المصدر نفسه، ص7.

18-أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 190، ص133.

19- سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، المجلد الأول، ص6.----20-ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الاسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1999، ص418. ---- 21- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ج2 ص394.----22- سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، المجلد الأول، ص5.----23-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص394.

24- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980، ص340.----25- سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، المجلد الأول، ص8.----26-عادل نويهض، المرجع السابق، ص340.----27- سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، المجلد الأول، ص5.----28- المصدر نفسه، ص6.----29-ناصر الدين، سعيدوني، المرجع السابق، ص418.

30-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، رحلة المجاجي، تحقيق آل سيد الشيخ سعاد، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2017، صص19، 23، 22.----31-المرجع نفسه، صص20،21.----32- المرجع نفسه، ص23.----33-أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ، عالم المعرفة، الجزائر، ط3، 2009، ج1 ص177.

34-سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورثيلانية، تحقيق ابن أبي شنب محمد، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1908، ص79،89.----35-أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص396.----36-سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، تحقيق ابن أبي شنب، المصدر السابق، ص120.

37- المصدر نفسه، ص130،131.----38-أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء، ص396.----39-ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص455.----40-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المرجع السابق ، صص106-112.----41-عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية (1661-1663م)، تحقيق الفاضلي سعيد والقرشي سليمان، مجلد 1، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، 2006، م1 ص269.---- 42- المجاجي، المرجع السابق، صص112-114. ----43-المرجع نفسه، ص117.----44- المرجع نفسه، صص121-129.-----45- المرجع نفسه، ص133،134.

46-ناصر الدين، سعيدوني، المرجع السابق، ص353.-----47- المرجع نفسه، ص20.----48-عبد الله بن محمد العياشي، المرجع السابق، ص133.----49-عبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، المرجع السابق، ص139. ----50-المرجع نفسه، صص140،142.----51-المرجع نفسه، ص144،145.----52-المرجع نفسه، صص147،151. ----53- الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، تحقيق ابن أبي شنب، ج1 ص26.----54-المرجع نفسه، ص33،34.----55-المرجع نفسه، ص41.-----56-المرجع نفسه، ص73.----57-سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ج 3 ، صص486-488،491.

58-نفسه، ج1 ص203.----59- نفسه، ج3 ص478.----60- المجاجي، المرجع السابق، صص147-151.

61- المرجع نفسه، صص158-162.

PDF Creator Trial